Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (3) Issue (1) May(2024)
ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

المنهج النقلي عند المتكلمين

أ.د. لجين عبد الله محمود
الجامعة العراقية كلية التربية للبنات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله اجمعين.وبعد...فإنَّ من سُنن الله تعالى في خلقه الإختلاف بينهم ، قال الله تعالى(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)1 ، قال ابن كثير حول تفسير الآيتين: (يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى جَعْلِ النَّاسِ كُلِّهِمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، مِنْ إِيمَانٍ أَوْ كُفْرَانٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا)2 وقوله : (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) أَيْ : وَلَا يَزَالُ الْخُلْفُ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَدْيَانِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِ مِلَلِهِمْ وَنِحَلِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَآرَائِهِمْ)[3]ولا يخفى مدى الأهمية الكبيرة التي تحظى بها دراسة قضايا العقيدة، والبحث فيها، وتحقيق مسائلها؛ وذلك لما تضطلع به من دور خطير وأثر فعَّال في صياغة حياة الإنسان عمومًا، والفرد المسلم على وجه الخصوص، وضبط مناحي نشاطاته جميعًا، إذ تُعَدُّ العقيدة بمثابة قطب الرَّحى، والركن الركين الذي تتشكل على ضوئه سائر الأفكار والتصورات والقيم، كما أنها المحرك الأساسي والموجه الأهم للأفعال والسلوكيات الصادرة عن المكلَّف، والتي لا تعدو أن تكون انعكاسًا خارجيًّا لما تنطوي عليه النفس في داخلها من آراء ويمكن القول إن أية محاولةٍ لإصلاح الفرد المسلم اليوم - كنواة لتغيير واقع المجتمع والأمة بأسرها - ليس بوسعها أن تنشأ ابتداءً، أو تؤتي ثمارها المرجوَّة منها إلا إذا انطلقت من ميدان الإصلاح العقدي، والذي يتطلب بدوره القيام بمهمتين ضروريتين:

الأولى: تصفية العقيدة مما شابها -على مر العصور- من الخلط، وسوء الفهم، أو التشويش على بعض حقائقها، ولن يتسنى ذلك إلَّا بإعادتها إلى صورتها الصافية النقية المتلقاه من مَعِين الكتاب والسُّنَّة، والمؤيَّدة ببراهين العقل وحججه الساطعة

الثانية إعادة عرضها بأسلوبٍ واضح، وسهلٍ ميسرٍ، خالٍ من التعقيد والغموض، بما يتناسب مع كافة المستويات ، دون إخلالٍ بالثوابت، أو مساس بالأصول والقطعيات، وإنما التجديد في الصياغة، وطريقة التناول، وكيفية إيصال المعلومة، وغرسها في القلوب بأقصر طريق وأيسره. ولعل في النظرة المتأملة لمجريات التاريخ وأحداثه، وتتبع سير الأنبياء والمصلحين ومناهجهم ما يشهد لهذه الحقيقة، ويدلل على أن الإصلاح العقدي وترسيخ الإيمان في القلوب هو المفتاح الأول والأهم لتغيير واقع الناس وأحوالهم.

المبحث الاول مفهوم المنهج النقلي ونشأته

المطلب الاول: تعريف المنهج النقلي لغة واصطلاحا.

المنهج لغة :تطلق كلمة (المنهج) و (المنهاج) و (النهج) في اللغة العربية على معنى واحد وهو: الطريق الواضح والظاهر والمستقيم[3].والمنهج في الاصطلاح: هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة[4]. اما النقل لغة: يدل على تحويل ونقل الشيء من موضع إلى آخر[5].

واصطلاحا: الاعتماد على النصوص الشرعية، المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية[(6)].فالمراد بالنقل : نصوص الكتاب والسنة المنقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد بالاحتجاج بهما: قيام الحجة على الخلق بواسطتهما فالمنهج النقلي: هو طريقة دراسة النصوص المنقولة[(7)].

المطلب الثاني: نشأة المدرسة النقلية.

يعتبر أتباع المدرسة النصية – النقلية- أنفسهم امتداداً لمذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين واتباع التابعين وأنهم إمتداد لمدرسة أهل الحديث التي ظهرت في العصر العباسي وعلى المذهب الحنبلي بقيادة أحمد بن حنبل بعد اصطدامه مع فرق المعتزلة والكلامية والشيعة

وتوالت أجيال من علماء هذه المدرسة حتى ظهر كبير علماء النقليين وهو ابن تيمية -الملقب من قبل أتباعه بشيخ الإسلام- الذي قام بالدعوة لمنهجه ونبذ العادات والأفكار التي اعتبرها بدعية وخارجة عن الإسلام الصحيح، وفي المقابل اعتُبر ابن تيمية شخص خارج عن العقيدة الصحيحة وينسب أقوال مدسوسة لأحمد بن حنبل مثل قوله بالتجسيم وإثبات الصفات، وسُجن إثر هذا أكثر من مرة ، لكنه أثر ببعض من احتكوا به مثل ابن قيم الجوزية وابن كثير والذهبي[8]. ومن بعد ابن تيمية ظهرت الحركة الوهابية بقيادة محمد بن عبد الوهاب في نجد وبالتحالف مع محمد بن سعود اللذان تبايعا في ظل تأسيس المملكة السعودية [9].وفي المقابل التزم أتباع الوهابية بالمنهج النصي والالتزام بنموذج السلف كنموذج متكامل بحد ذاته كما زعموا.كما ظهرت جماعات مسلحة وصفت بالإرهابية، ترتبط بالوهابية على صعيد السلف، لكنها تتميز بتكفير كل من يخالف عقيدتها وتستبيح قتله كمرتد، لذا يعتبرها البعض أنها تسعى لتبييض صورتها أمام العالم الإسلامي من خلال نسب نفسها للسلف، في حين يدافعوا عن منهجهم بأنه وسطي ليس به تكفير ولا تفجير. يرى الكثير من المحللين أن هذه النزعة التكفيرية الجهادية نتجت لأسباب سياسية أهمها الهيمنة الأمريكية على العالم ودعمها لإسرائيل في الصراع العربي الإسرائيلي بالإضافة لاعتقادهم بأن الحكومات العربية عميلة للغرب المتمثل في امريكا مما دفعهم لاعتناق ذلك الفكر الجهادي كنوع من المقاومة والنضال ضد الهيمنة الغربية ، كما قامت بإراقة دماء المسلمين في بدايتها في بلاد الحجاز ومازالت إلى الآن ترعى العمل المسلح حتى ضد المسلمين كما في الجزائر والسعودية ومصر والمغرب وموريتانيا .

المبحث الثاني قواعد المنهج النقلي في الاستدلال

لما كان المنهج النقلي يقوم على الاتباع وذم الابتداع ، فقد وجد أن المدرسة النقلية تقوم على عدد من القواعد الأساسية:

المطلب الاول: الاستدلال بالكتاب والسنة.

منذ عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والإجماع منعقد على وجوب الأخذ بكافة أحكام الكتاب والسنة، دون التفريق بينهما في الاستدلال الشرعي، فما كان الصحابة ولا من جاء بعدهم يفرقون بين حكم ورد في القرآن وبين حكم وردت به السنة، لأنهما معاً وحي من الله، ومن الآيات التي يستدلون بها: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا"، وفي الحديث: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"، وهو المنهج الذي التزمه النقليون في السابق ويتمسك به مجددو الدعوة النصية في عصرنا الحالي.فالكتاب والسنة بمنزلة واحدة من جهة التشريع وإن كان القرآن مقدم تشريعاً وتعظيماً لأنه كلام الله، لكن السنة أيضاً أصل في الاستنباط قائم بذاته، ثبت وجوب الأخذ بها في نصوص كثيرة واردة في القرآن نفسه، لذا لا يجوز الاستغناء عنها بزعم الاكتفاء بالقرآن، لأن السنة تشرح القرآن وتفسره "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ" بل هي خير تفسير يفسر به القرآن بعد القرآن، وقد يتوقف فهم مجمل القرآن على تفصيل السنة، وقد تأتي السنة بأحكام غير مذكورة في القرآن، وهو ما يوجب الأخذ بالكتاب والسنة جميعاً دون تفريق بينهما[10]

التمسك بفهم الصحابة للدين.يقوم المنهج النقلي على فهم القرآن والسنة والعمل بهما وفق فهم الصحابة لهما، وذلك راجع إلى ما للصحابة من فضل وسبق في الإسلام.. فهم حواريو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأعلم الأمة بالكتاب والسنة، صحبوا النبي وشهدوا أحواله وأخذوا عنه الدين شفاهة، فهم أشد الناس تمسكاً بالإسلام وتضحية في سبيله، شهد الله تعالى لهم بالإيمان والصدق، وأجمعت الأمة جيلاً بعد جيل على إمامتهم وعدالتهم، كما أثبت لهم التاريخ انتصاراتهم المذهلة، وما حققوه من أعمال لنصرة الدين والجهاد ونشر الدعوة الإسلامية [11].

المطلب الثاني: تقديم النقل على العقل .

من أهم أسس الاستدلال في المنهج النقلي: تقديم النقل (النص الشرعي المأخوذ من الكتاب والسنة الصحيحة) على العقل (الأدلة العقلية المأخوذة من الفلاسفة والمتكلمين). ذلك لأن العقل الإنساني غير معصوم بل ومن الوارد وقوعه في الخطأ، ومن ثم فليس له أن يحلل شيئاً أو يحرمه، وإنما مرد ذلك إلى الشرع وحده، يقول الشاطبي في الاعتصام: "إن الشريعة بينت أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع في دينه على ألسنة أنبيائه ورسله".علاوة على ذلك أن هناك أموراً لا يقدر العقل بمقاييسه المحدودة أن يحيط بها علماً، في الكون والحياة، وهذا ما يؤكده التطور العلمي عصراً بعد عصر، وأهم من ذلك الأمور الاعتقادية والغيبية التي هي فوق مستوى العقل وإدراكه، والتي ينبغي إرجاعها كاملة إلى الوحي المتمثل في الكتاب والسنة، وهذا من أصل الإيمان بالرسل والأنبياء والكتب المنزلة.وفي تفاصيل هذا الأساس النقلي كون العقل مخلوق خلقه الله وأودعه في الإنسان، وهو يؤدي وظيفته من خلال قدراته المحدودة، ومن خلال ما يدركه بحواس الإنسان المحدودة، فالقدرة المطلقة والإحاطة الشاملة، هي من صفات الخالق وحده وليست من صفات العقل المخلوق[12].

المطلب الثالث: رفض التأويل الكلامي.

من المعلوم ان تنظيم علم الكلام وتبويبه وتفريعه ينسب إلى المعتزلة، لأنهم أول من فعل ذلك، حين تكلموا في الوعد وإنكار القدر ثم نفوا الصفات الإلهية. ورفض التأويل الكلامي من السمات البارزة للمنهج النقلي لأنهم يرون الأخذ بمسائل الاعتقاد كما وردت في الكتاب والسنة وإجراء النصوص على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. كما أن الإيمان المبني على التسليم للوحي يجعل الموقف النقلي يقوم على أساس دخول العقل تحت الوحي، بمعنى أن الوحي هو الموجه والعقل يمارس وظيفته في ظل توجيهات الوحي [13].

- **<u>ويعتقد النقليون أن منهج المتكلمين في تأويل النصوص باطل لأسباب منها:</u>**

1- أن هذا النوع من التأويل هو في حقيقته تحريف للنصوص وتعطيل لها.

2- لا يجوز شرعاً معارضة كلام الله بمصطلحات كلامية وضعها البشر، وهي مأخوذة في الأصل من فلاسفة وعلماء كلام من غير المسلمين ، وموافقة المتكلمين فيما ذهبوا إليه تؤدي إلى الاستخفاف بأدلة الكتاب والسنة، والتقليل من قيمتها، كما أنه يؤدي إلى صرف الناس عن الكتاب والسنة وفهم معانيهما وهما أصل الدين.[14]

3- أن الحجة العقلية الصحيحة لا تعارض الحجة الشرعية الصريحة بل يمتنع تعارضهما، إلا إذا كانت الحجة العقلية فاسدة، أو الفهم للحجة الشرعية فاسد.

4- أن الشرع الإسلامي قد يأتي بأمور تحتار العقول في إدراكها [15].

المبحث الثاني الاسس النظرية للمقاصد العقدية عند الفريق النقلي

المطلب الأول: منهج التيار النقلي في استنباط المقاصد العقدية

إن المنقول عن النقليين فيما يخص القضايا الدينية ذات المنحى العقدي هو إشارات تصب في اتجاه واحد وهو الامتناع – في إطار من التسليم والتفويض – عن الخوض في هذه الأمور.ولم يكن لوعي النقليين في هذه المرحلة هواية الدخول في معمعة الجدل لذاته، بل إن اهتمامهم انصب على محاربة ممارسة الجدل لا غير، دون الدخول في معمعة المناظرات، وعلى افتراض الإسهام في ذلك فإنه انحصر في نطاق تقرير رؤية السلف المتلخصه في الإحجام والتوقف والتفويض.وقد اقتصروا في نقولهم على إيراد النصوص من غير تفسير ولا تأويل – وهو ما نبه إليه العلامة ابن الجوزي[16] إذ تواترت المصادر الناقلة لمقولات السلف على امتناع هؤلاء عن الخوض في مسائل النظر. أما الخوض فيها أو اتخاذ أي موقف تفصيلي أيا كان منها فإنه يعد – حسب الاستنتاج الذي يتم الخلوص إليه هنا – خارجا عن إطار أقوال السلف وغير محسوب عليهم.وليس ما يتم إقراره هنا من محض التقول على السلف، بل إن له أكثر من دليل وبرهان، إذ أكد أبو سعيد الدارمي هذه المسألة في رده على الزنادقة فقال: ‘‘وقد كان من مضى من السلف يكرهون في هذا وما أشبهه، يعني مسائل الأصول النظرية [17].وحينما ناقش الإمام أحمد بن حنبل ادعاء الجهمية أن القرآن غير الله، وإذا كان غير الله فلا يكون إلا مخلوقا أشار إلى أن هذا من المغاليط، ‘‘وأن الله جل ثناؤه لم يقل في القرآن: إن القرآن أنا، ولم يقل: غيري، وقال هو كلامي، فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين ومن سماه باسم غيره كان من الضالين [18] .فالالتزام الحرفي بالصيغ النصية كان – كما يبدو – ديدن السلف لأنهم يعتبرونه عصمة من الزيغ عن يمين الحق أو عن شماله. وينبغي التقيد لمن يريد اتباع طريق السلف عند إطلاق الألفاظ بصيغة السمع دون أي تصرف أو إعادة صياغة لها أو اجتهاد في استعمال ما يعتبر مترادفات تؤدي المعنى ذاته الذي دلت عليه النصوص.

لذلك وجدنا التيار النقلي يعتبر "هذه الأحاديث نرويها كما جاءت" لا تؤدي بالضرورة المعنى نفسه الذي تدل عليه أقوال بعض المتأخرين من مثل قول ابن تيمية بـ "إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل، لأن هناك إضافة جديدة، وهي الاتيان بمعنى الإثبات على الطريقة المذكورة، وهي ليست قولا للسلف بل تفسيرا أو فهما لموقف السلف [19].والفرق واضح بين أن نقول عن النص إنه كذا أو يعني كذا وبين أن نورد هذا النص كما هو دون تدخل منا في صياغته بطريقة جديدة، لأن هذه الطريقة الجديدة تسمى تفسيرا للنص أو فهما له؛ وتفسير النص (أو فهمه) ليس بنص.فمذهب النقليين يقتضي في أوكد تقنياته جمودا على قوالب النص دون أي تصرف فيها، لأن هذا التصرف – مهما كان – يستلزم إضافة جديدة لا يمكن اعتمادها مسلمة شأنها شأن النص.وفي الواقع فإن هذا التحليل لا يعني إنكار حقيقة جلية هي إنكار النقليين على علم الكلام والفلسفة كما فعل السلف الأوائل، ولا غرابة في أن نجد بعض المتحمسين يحيل إمكانية صياغة النظريات المتخذة من المنطق اليوناني أو ما سماه الهوى الفارسي صياغة فلسفية تسير "على خط مستقيم مع مصادر الإسلام ومحكماته في القرآن وأسوة الرسول [20].ويسوق الدليل على ذلك باستعراض نشأة علم الكلام الذي يقابل عنده – في الاصطلاح الفلسفي – المنطق عند اليونان؛ يقول أحمد موسى سالم: "هذا المنطق هو أول ما تردى المعتزلة في متاهاته واختلاساته منزلقين على منحدره إلى هاوية المحنة التي تورطوا وغرقوا فيها؛ وهي الزعم بأن القرآن مخلوق [21].لكن هذا الإنكار أو التحامل على علم الكلام والفلسفة من النقليين لم يكن – في بعض الأحيان – إلا نوعا من الدفاع عن رؤيتهم النقلية الجديدة في وجه عقلية الكلاميين المتحكمة؛ فانطلقوا في مسعى لتبرير رؤيتهم من أن السلف كانوا يلجأون في معرفة ما يجب الإيمان به إلى القرآن وإلى الحديث، لا يصدرون عن غيرهما، ولا يطمئنون لسواهما؛ كل ذلك في اجتناب تام لاجتهاد العقل وأو تأويل النقل اللذين يعتبرهما النقليون أصل الفتنة في تعطيل النصوص والتجاوز بها عن معانيها التي وضعت لها لغة وشرعا إلى معان وآراء دخيلة تتبناها المبتدعة التي كانت تهدف – في نظر النصيين – إلى هدم الشريعة وإضلال معتقديها وبلبلة ما استقر في قلوبهم وامتزج بنفوسهم من عقائد واضحة لا لبس فيها ولا شائبة من غموض في صفاء وشفافية فطرية ملائمة لطبيعة العرب الذين لم يكونوا في أصالتهم أهل منطق أو فلسفة .

المطلب الثاني : رفض تحكيم العقل في المقاصد العقدية لدى النقليين

لقد انبنى رفض تيار النقل لتحكيم العقل في المقاصد العقدية على تشكيكه بداية في أهلية العقل لذلك، ثم من خلال التشكيك في دلالة النصوص على ما استحدثه العقل من مصطلحات. ثم إن القبول بمبدأ استئثار العقل بالمعرفة يقتضي عندهم عبثية إرسال الرسل.بل يذهب أساطين هذا التيار – التيار النقلي – إلى القول بفساد تحكيمه نظرا لاقتصاره على الحسيات وإنكاره للغيبيات، ويحملون العقل مسؤولية كفر الدهريين وغيرهم فيما يبدو أنه تحامل شديد، ويحملون العقل كذلك مسؤولية إنكار الصفات الإلهية، وقد برروه بخوف تعدد القدماء كما هو مذهب المعتزلة[22] أما اتهامه العقل بكونه وراء تشبيه الصفات الإلهية بالجسمية فهو من قبيل التحامل، لأن من يرى هذه الرؤية ينتهج الطعن في أحكام القرآن وإبطالها.لقد استحدث ممارسو الكلام والنظر اصطلاحات خاصة بدراستهم الكلامية وارتأوها أداة لتلقين العلم ووسيلة لتخفيف مؤونة التعلم؛ وهو أمر يعتقدون أن علم الكلام لم يشذ فيه عن سائر العلوم الإسلامية الأخرى التي شهدت استحداثا مماثلا ،لكن تيار النقل لا يعترف بهذا التبرير ويشكك في دلالة القرآن على تلك المصطلحات المستحدثة، التي يعتبرها انحرافا عن هدي القرآن ومدعاة للزيغ ومجرة إلى الضلال [23]

المبحث الثالث الفرق التي تبنت المنهج النقلي

المطلب الاول: التيار السلفي .

أبناء هذا التيار أعملوا عقولهم في أسناد النصوص، ومحّصوا فيه، و شنو العداء على باقي التيارات والذين تتراوح تهمهم ما بين مبتدع وكافر مروراً بالشرك. يشنّ أصحاب هذا التيار "ثورة بيضاء" ضد المبتدعة، وسلاحهم التغيير باليد، والذين تجرئوا على التكفير ولم يتوانوا عن مهاجمة "المبتدعة" وملاحقتهم لو أمكن، ولا مكان للـ"الآخر" المبتدع لأن تصوراتهم ذات بُعد عقديّ لا يسمح فيه للآخر بالمخالفة، فهو إما "ولاءٌ" وإما "براءٌ" ولا يوجد منـزلة بين المنـزلتين، لذا فإن دعوتهم تحمل نفس الجهاد المقدس بـ"اللسان". لكن هذه الثورة "النصية" تظل ثورة بيضاء إلى أن يتبناها نظام سياسي يريد خدمة مصالحه، والتي هي محض ذاتية، فيقوم بتثوير هذا التيار ليريق دم غيره بحجة الخلاف "العَقدي" مع الآخر، والضحية في الغالب هو مسلمٌ مخالف في النهج الفكري[24]

المطلب الثاني: التيار الخوارجي" أو " تيار نفي الآخر"

ويتمثل في إقصاء الآخر سواء كان هذا الآخر من داخل أو من خارج الإطار المعرفي الإسلامي.

ورغم أن فرقة الخوارج تاريخياً بدأت كفرقة ظهرت أواخر العقد الرابع من القرن الأول للهجرة عقب خروجهم على عليّ كرم الله وجهه إثر قبوله بالتحكيم في شأن الخلافة التي آلت لمعاوية، وتبنت هذه الفرقة فهماً سقيماً نصيّاً، سِمَته العنف والإقصاء الجسدي، لكنه انسحب بعدها الحكم بالـ "خوارجية" على كل من خرجَ على الحاكم وكل من كّفره.هذه العجالة تعتبر العقلية الخوارجية هي كل عقل يخرج على حدود الموضوعية ويقرر إلغاء الآخر بل تصفيته جسدياً بغير وجه حق، ويقسر الآخر بالعنف على تبني رأيه.إن أساليب التغيير التي يتبناها هذا التيار هي ثورية بالدرجة الأولى، وتباشر التغيير بـ"اليد" التي هي أقوى الايمان، وسمة دعوتهم الأساسية هي المباشرة بالتصريح، وليس التلميح، أو النمذجة المقنعة.وأُقفل باب الاجتهاد لدى هذه الفرقة بأغلظ الأقفال، وعندهم السلف لم يترك شيئاً للخلف، ولا حاجة لإضاعة الوقت في إعمال العقل الذي يجب أن يهتم في تصحيح عقيدة الأمة طبقاً لفهمهم، وهم يتمتعون بأعلى درجات الرضا عن النتاج المعرفي التاريخي، لذا فإنه من الطبيعي أن تكون قراءاتهم تراثية محضة، ويتميزون بإقصاء مخالفيهم من حيث القراءات التراثية، فلديهم انتقائية واضحة في التعامل مع المقروء التاريخي، ومن باب أولى المعاصر.بالنسبة للتعامل مع الواقع المعاش فإنهم يتأرجحون ما بين "جلد الذات" وتكريس إحساسهم بمسؤوليتهم عن فشل الأمة في ماضيها وحاضرها، إلى "قتل الذات" واتباع كل أساليب التغيير الجذري والثوري، وأما الآخر المخالف فهو يمكن أن ينعت بنعوت تبتدأ بالتكفير ولا تتوقف عند الاستغراب والعلمانية والاعتزالية. أصعب ما يلاقيه أبناء هذا التيار هو في التعامل "بواقعية" مع الواقع المعاش، ويكون ذلك في الغالب باعتزال العالم وإنشاء نماذج غير جديرة بالحياة أو النمذجة، تحيا بعيدة عن أي تيارات فكرية أو تجديدية في العالم.

إن الفارق بين التيار "السلفي" و "الخوارجي" هو في درجة الثورية، فالـ "سلفي" لا يلجأ للتصفية الجسدية لكنه لا يتوانى عن تصفيته "دينياً وشعبياً" وتصنيف الآخر "الضّال المُضّل" على احتلال أسفل درك من النار حتى تطمأن نفسه بأنه انتصر في حربه "المقدسة" وضمنَ بهذا الجهاد الأبيض مكاناً علياً لأنه نافحَ عن "فهمه" لدين الله.يؤمن أرباب هذا التيار أن الأصل في الأشياء التحريم و ليس الإباحة، فلا بد للمسلم أن

يحفظَ أكبر كمية من النصوص التي تعينه على "شرعنَةَ" كل حركاته وسكناته، وليس فقط ما شكّ في شرعيته أو "حاكَ في صدره" من المستجدات، وبذلك يدخل في منطقة المكروهات عند الشارع من " كثرة السؤال".وباب الاجتهاد لا يمكن فتحه إلا بـ "مفاتيح القدماء" فهم من أغلقوه- على الأقل حسب فهم هذا التيار- ولا يمكن لهذه المغاليق أن تفتح إلا بشقّ الأنفس، وبضمانات عدم الحياد عما انتهجه السلف الذي لم يترك شيئاً للخلف، وضمان عدم استخدام أدوات معرفية جديدة "ابتداعية" أو "استغرابية كافرة" [25].

المطلب الثالث : الظاهرية .

الظاهرية مدرسة إسلامية عتيقة نشأت في القرن الثالث في أرض مدينة بغداد بيد أبي سليمان داود بن علي الأصفهاني عن طريق مؤلفاته الكثيرة وغيرها، تزامن تشكل المذهب الظاهري مع العصر الذهبي للسنة النبوية في القرن الثالث، ولذا كان المذهب الظاهري من حيث المنظور العام محسوبا على أهل الحديث بسبب تقيده بالقرآن والسنة وطريقة الصحابة، وقد تأسس المذهب على أربعة أسس كما في نص ابن حزم الآتى- أثناء كلامه عن الأصول التى لا يعرف شئ من نصُّ القُرآن، نصُّ كلام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الَّذي إنَّما هُو عن الله تعالى ممَّا صحَّ عنه عليه السَّلام نقل الثِّقات أو التَّواتر .إجماع علماء الأمَّة. أو دليل منها لا يحتَمل إلاَّ وجهًا واحدًا ، ويعنى بالدليل البراءة الأصلية والاستصحاب ونحوهما قال ابن حزم أيضا: أصحاب الظاهر من أهل الحديث رضي الله عنهم أشدُّ اتباعاً الخبر المتواتر.

رابعا :غلاة الحنابلة.

قد انتسب الى الامام احمد بن حنبل في العصور المتأخرة جماعات من الناس ابتعدوا عن منهجه وطريقته وفهموا الشرع بخلاف فهم السلف الصالح وظنوا ان هو هذا مذهب الحنابلة واهل الحديث فوقعوا في شذوذات فقهية وعقدية كثيرة لم يقل بمجموعها احد من علماء السلف فسمعوا ان اله تعالى خلق ادم على صورته فأثبتوا له وجها زائدا على الذات وعينين وفما ولهوات وأضراسا وغير ذلك ، وقد كان بعض الغلاة الحنابلة يتشددون في التكفير حتى غلا بعضهم فقال ، من لم يكن حنبليا فليس مسلما [26] .

اسباب ادت الى نفرة الكثير عن دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب :

1- الاسلوب الذي يتبعه الدعاة الوهابيون اثناء اداء واجبهم تجاه الدعوة ، كما يعتقد البعض ان سبب انتشار الدعوة الوهابية في العالم الاسلامي ليس لأن اسلوب الدعاة الواهبين اسلوب جيد بل يعود الى الاموال الكثيرة التي تخصصها الحكومة السعودية لهذا الغرض .

2ـــ من الانتقادات التي وجهت الى الدعاة الوهابيين انهم يسببون في المجتمع اختلافات مذهبية أو عقدية فبعض الدعاة الوهابيين بفتون بشرك من لم يكن وهابيا [27].

4ـــ ان الدعاة الوهابيين يتخذون من الفرق الاسلامية الاخرى مواقف شديدة مما يجعله مستحيلا ان يكون بينهم اي علاقة او نوع من التعاون

5ـــــ الدعوة الوهابية دعوة داخلية اي انها تستهدف المسلمين لضمهم الى المذهب الوهابي بدلا من ان توجه انظارها الى خارج المجتمعات فهم لا يبذلون جهدا كبير لأسلمة غير المسلم بقدر ما يهتمون بجذب المسلم الى المجتمع الوهابي [28] .اما لفظ الحشوية فليس فيه ما يدل على شخص معين ولا مقالة معينة فلا يدري من هؤلاء ، فاكثر عامة المسلمين لا يدرون من هم الحشوية . الا انه يمكن القول بأن الحشوية عبارة عن اتجاه عام وتيار فكري موجود داخل الكثير من المذاهب والطوائف المختلفة متمثلا بالاتجاهات القائلة بالتجسيم والاتجاهات المنحية للعقل بالكلية ، وكذا التي تروي الموضوعات من الاحاديث والاثار ولا تميز بين الصحيح والموضوع ، كما ان مذهب الحشوية ليس مبتنيا على قواعد واصول عقدية [29]. وهناك من يجمع بين هذه الحشوية والسلفية وبين من يجمع بين السلفية والظاهرية وبين من يجمع بين غلاة الحنابلة والحشوية . فقد يوجد تشابه في بعض الجوانب الا انه هناك فرق من حيث النشأة والوجود والاصول والتعامل .وهذه الفرق سعت بقوة الى تأصيل وتأسيس مذهبها وفق نصوص قرآنية ونبوية واعتمدت منهجا يعتبر النصوص مرتبة وفق اولويات خاصة بكل فرقة واتجاه .

اما ايجابيات وسلبيات المنهج النقلي فهي متمثلة بالنقاط الاتية

اولا : الايجابيات

1ـــ التمسك بكتاب الله وسنه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . 2ـــ اصحاب المنهج النقلي يتجنبون الوقوع في المناظرات الكلامية واشكوك والشبهات المعقدة ويحتجون بأحاديث الصحابة في النهي عن الخصومات في الدين والجدال .

2ـــ توثيق إسناد النص إلى قائله ، والتحقق من سلامته وفهم مدلوله بمعنى التأكيد على صحة صدوره، ويأتي هذا بالرجوع إلى المنهج البحثي الخاص، في المجال المعرفي الخاص به، كعلم الرجال في دراسة أسانيد و التأكد من أن النص لم يدخله التحريف أو التصحيف أو الزيد أو النقص، بمعنى انه على صورته الأولى عند تحريره، كما قاله قائلها [30] .

ثانيا: السلبيات .

1ـــ الاعتماد على النص وحده في مسائل العقيدة، ورفض العقل وأدلته، .[31]

2ـــــ الأخذ بالنص الشرعي- قرآنا وحديثا- بحمله على ظاهره الحقيقي من غير تأويل ، مما اوقعهم في التشبيه التجسيم .

3- سوء الفهم للنصوص الدينية نفسها، فالنصوص تعتد بالعقل، وتتضمن براهين عقلية لإثبات العقائد الدينية الواجب اعتناقها[32] .

4- أن طريق معرفة الله تعالى: هو السمع فقط، ولا مجال للعقل في ذلك؛ إذ لا مدخل له فيها[33].

5- التوقف في اعطاء الرأي : وذلك عند عدم وجود نص شرعي في المسألة، وعند تعارض النصيين الشرعيين وعدم وجود مرجح شرعي لأحدهما على الآخر ، وكذلك عند اجمال النص لأنه متشابه أو الانغلاق .

6- امتازت الوهابية بالتشدد في الدين والجمود في فهمة حتى شابهوا الخوارج.

7- مبتدعة الحنابلة صرحوا بالتشبيه والتجسيم للذات العليا والمماثلة بين صفات الخالق والمخلوق .

8- الظاهرية افرطوا بالقول بالظاهر مع نفيهم فحوى الخطاب والقياس الجلي

9- السلفية رفضت كل فكرة وافدة وحذرت من الاخذ بشيء مما عليه الحضارات الاخرى والانحصار بذلك في الاسلام التاريخي والاسلام الجغرافي .

الخاتمة واهم النتائج

يتبين لنا من خلال دراسة المنهج ان من بين سلبيات الجمود على النص هو ارتكاس الحركات الاسلامية الاصولية الى سلفية رجعية متحجرة عطلت العقل وحاربت مبدأ الاختلاف والتنوع .والمؤسف والاكثر خطورة هو تحول تلك الحركات الاسلامية والسلفية منها الى

ارهاب المتمثل بالقتل واراقة الدماء إنتشار الفتنة بين المسلمين . ومن المهم التنبيه على ضرورة تجديد الخطاب الديني فتتمثل تفعيل الحوار ولا ضير في تضارب الأراء عند الحوار، طالما انه يحث على تلاقح الافكار ويعمل على ازالة الاختلافات والوصول الى الفكر الصحيح.

وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين

المصادر :

1. أخلاقيات البحث العلمي في ضوء الفكر الإسلامي، عبد الله بن حلفان بن عبد الله العايش .
2. اصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ، ابي الحسن بن منصور اللا لكائي ،(المتوفي 418ه) ، تحقيق : احمد بن سعيد الغامدي ، الناشر : دار طيبة .
3. الامام احمد بن حنبل وانتشار مذهب الحنابلة
4. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، للذهبي المتوفي (748ه)، تحقيق : الدكتور عمر عبد السلام ، الناشر دار الكتاب العربي .
5. تاريخ المذاهب الاسلامية ، د. محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي ــ القاهرة .
6. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ،للقرطبي (المتوفى: 463هـ) ،تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري ،وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب،1387 هـ.
7. التيارات الفكرية السائدة في العالم الاسلامي ، مقالة د. اسامة القاضي .
8. الحقائق الاسلامية في الرد على الوهابية ، لمالك ابن الشيخ داود ،الناشر : مكتبة الحقيقة استنبول .
9. الخطاب السلفي وتحطيم العقل ، مقال د. عدنان عويد .
10. درء التعارض العقل والنقل ، لأبن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، الناشر " دار الفضيلة الرياض السعودية .
11. دفع شبهة التشبيه ، لأبن الجوزي ، المتوفي (597ه) نحقيق : محمد زاهد الكوثري .
12. السلفية الوهابية بين مؤيديها ومنتقديها ، حرسي محمد هيلولة ط2 (1425ه - 2004م) .
13. الصراع الفكري ، لأحمد بن محمد سالم .
14. عقائد السلف للأئمة احمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي ، تحقيق : علي سامي النشار و عمار جمعة طالبي ، الناشر : دار الكتاب العربي .
15. العقل العربي ومنهج التفكير الاسلامي ، لأحمد موسى سالم .
16. العقيدة الاسلامية ومذاهبها ، لقحطان الدوري،ط3 (1434ه - 2013م)
17. عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن عبد اله بن بشر ، تحقيق : عبد الرحمن عبد اللطيف ال شيخ ، ط4 (1402هـ 1982م)
18. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ،لأبي القاسم البلخي ، (المتوفي 319ه) ، القاضي عبد الجبار(المتوفي 415ه) و الحاكم الجشمي المتوفي (494ه) ، تحقيق : فؤاد سيد ، الناشر :الدار الكونية للنشر .
19. فهم السلف للنصوص الشرعية ، عبد الله بن عمر الدميجي، الناشر : مدارك ،ط1 (1439).
20. كتاب الرد على الزنادقة والجهمية ، لأبي سعيد الدارمي ، المتوفي (280ه) النشر : مكتبة الرشد .
21. كشف المحجّة لثمرة المهجة، لعلي بن طاووس المتوفي (664ه)، تحقيق : الشيخ محمد الحسون .
22. لب الالباب في تحرير الانساب ، للسيوطي، المتوفي (1086ه) ، تحقيق : د. محمد الزاهي ، الناشر : دار الكتب العلمية ـــ بيروت لبنان
23. لسان العرب، لأبن منظور، المتوفي (سنة 711ه) ، تحقيق : عامر احمد حيدر ،ط 1430ه - 2009م).
24. مجموع فتاوي ومقالات متنوعة ، لأبن باز ، جمع واشراف : محمد بن سعيد الشويعر ، الناشر : دار القاسم.
25. مجموع الفتاوي ، لابن تيمية (المتوفي 728ه) دار الوفاء .
26. المحاضرات في الاعتقادات: السيد علي الحسيني الميلاني، مركز البحوث الاسلامية ط 1 (1421 ه).
27. مسائل الامام احمد ، رواية ابي داود السجستاني ، تحقيق ابي معاذ طارق بن عوض الله ، الناشر : مكتبة ابن تيمية .
28. مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بديوي، ط3.

---

[1] سورة هود – الآيتان 118- 119 .

[2] سورة يونس- الآية 99.

[3] لسان العرب، لابن منظور، 6/ 4554.

[4] مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بديوي، ص5.

[5] لسان العرب، لابن منظور، 345/14.

[6] أخلاقيات البحث العلمي الاجتماعي في ضوء الفكر الإسلامي، عبد الله بن حلفان بن عبد الله العايش .

[7] ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للقرطبي1977ص52.

[8] ينظر: كتاب المحاضرات في الاعتقادات: السيد الميلاني، ص752-772.

[9] ينظر:عنوان المجد في تاريخ نجد ، عثمان بن عبد الله بن بشر ،46/1.

[10] ينظر : فهم السلف للنصوص الشرعية ، عبد الله بن عمر الدميجي، الناشر : مدارك ،ط1 (1439) ص 57.

[11] ينظر:مجموع الفتاوي ، لابن تيمية ،3/ 217، واصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ، اللا لكائي ، 1/ 145.

[12] درء التعارض العقل والنقل ، لأن تيمية ، 5/ 244 ، 245.

[13] ينظر : درء التعارض ، لأبن تيمية ، 10/ 5.

[14] ينظر : مجموع الفتاوي ، لأبن باز ،415/4.

[15] الخطاب السلفي وتحطيم العقل ، مقال د. عدنان عويد ص 24.

[16] دفع شبهة التشبيه ، والرد على الجمسمة ، لأبن الجوزي ، ص 18 .

[17] ينظر : الرد على الزنادقة ، لأبي سعيد الدارمي ، ص 280.
[18] مسائل الامام احمد ، لأبي داود ، ص 112.
[19] مجموع الفتاوي ، لأبن تيمية ، 4/3.
[20] عقائد السلف ، للنشار ، ص 11.
[21] العقل العربي ومنهج التفكير الاسلامي ، لأحمد موسى سالم ، ص 241.
[22] بنظر فضل الاعتزال ، للقاضي عبد الجبار ، ص 129.
[23] ينظر :الصراع الفكري ، لأحمد بن محمد سالم ، ص 91.
[24] ينظر : تاريخ المذاهب الاسلامية ، محمد ابو زهرة ، ص 177 وما بعدها .
[25] ينظر :التيارات الفكرية السائدة في العالم الاسلامي ، مقالة د. اسامة القاضي .
[26] ينظر : تاريخ الاسلام، للذهبي ، 57/33.
[27] ينظر : الحقائق الاسلامية في الرد على الوهابية ، لمالك ابن الشيخ داود ،الناشر : مكتبة الحقيقة استنبول ، ص 15.
[28] السلفية الوهابية بين مؤيديها ومنتقديها ، حرسي محمد هيلولة ط2 (1425ه - 2004م) ، ص 211 وما بعدها .
[29] ينظر : لب الالباب في تحرير الانساب ، للسيوطي
[30] كشف المحجّة لثمرة المهجة، علي بن طاووس، ص 11 – 20.
[31] المدخل إلى دراسة علم الكلام، الدكتور: حسن محمود الشافعي، ص69، مناهج ال تفكير، الشيخ فلاح العابدي، والسيد سعد البخاتي، أكادمية الحكمة العقلية، ص68، العقيدة الإسلامية ومذاهبها للدوري، ص213.
[32] المدخل إلى دراسة علم الكلام، الدكتور: حسن محمود الشافعي، ص69.
[33]() ينظر: المدخل إلى دراسة علم الكلام، الدكتور: حسن محمود الشافعي، ص70-71.